قالت العرب

"مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ
في الركن منسيًا، فلا أحد يهين
مزاجك الصافي، ولا أحدٌ يفكر باغتيالك
كم انت منسيٌ وحُرٌ في خيالك!"

المشهد

العدد 339 - السنة الرابعة عشرة - الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

عمار علي حسن يكمل ثلاثيته المتمحورة حول الذات بـ «ألف نافذة لغرفة واحدة»

فى فترة متقاربة، جنح الكاتب المصرى عمار على حسن إلى كتابة ثلاثة كتب له، تتمحور حول تجاربه الذاتية فى الحياة، بدأها بـ«مكان وسط الزحام - المصرية اللبنانية ٢٠١٨م» الذى تناول جانبًا من سيرته الذاتية، وفترة كفاحه ليجد لنفسه مكانًا ومكانة فى القاهرة المزدحمة بأهلها. والثانية: «عجائز البلدة - المصرية اللبنانية ٢٠٢٠م» الذى يضم مجموعة من المقالات الأدبية، التى يرصد فيها العناصر والآلات التى عايشها فى قريته، وهو ما اعتبرناه وقتها استكمالًا لجانب الطفولة فى سيرته الذاتية، الذى لم يفرد له مساحة كبيرة فى سيرته الأصل. وتكتمل هذه الثلاثية المتمحورة حول الذات، وما قام به من أعمال، أو ما عايشه من مواقف وتجارب بكتابه «ألف نافذة لغرفة واحدة: رحلة بين الطبيعة والطبائع» الكتاب الحاصل على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة فرع الرحلة المعاصرة لعام ٢٠٢٢م. يسرد فيه تجاربه ورحلاته التى قام به فى العديد من بلدان العالم «فرنسا، تركيا، إنجلترا، ألمانيا، إندونيسيا، الإمارات، البحرين، الكويت، السودان، المغرب، الأردن، لبنان، السعودية».

اتخذت تلك الثلاثية أجناسًا أدبية مختلفة «سيرة، ومقال أدبي، وأدب الرحلة»، تغطى كل واحدة منها جانبًا وحقبة من حياة مؤلفها؛ فإحداها اختصت بعالم طفولته ونشأته المبكرة، والثانية اهتمت بفترات تكوينه وبحثه عن مكان فى عالم المدينة القاسي، وطريقه للتحقق كاسم لامع فى Aسماء الإبداع والبحث السياسى الاجتماعي، والكتاب الثالث صدر ٢٠٢٢ ليرصد تجارب عمار الآنية بعد تحققه، التى مكنته من السفر إلى كثير من بلدان العالم. وكشفت هذه الثلاثية عن اتساع الرؤية للعالم، وتدرجها بشكل منطقى من القرية (الإسماعيلية فى محافظة المنيا وسط مصر).. إلى المدينة القاهرة عاصمة مصر.. إلى المنطقة العربية بداية من الخليج والمغرب العربي.. وصولًا إلى باريس ولندن وبرلين... إلخ.

أجناس أدبية متنوعة

واللافت فى هذه الأعمال الثلاثة بخلاف تنوع أجناسها، أنها جميعًا جاءت فى وقت متقارب لا يتجاوز أربع سنوات، حيث صدرت مكان وسط الزحام فى ٢٠١٨م، وعجائز البلدة ٢٠٢٠، وألف نافذة ٢٠٢٢. مما يطرح تساؤلًا حول السبب الذى جعل عمار ينحو هذا الاتجاه فى الحديث عن نفسه بهذه الكثافة، وكأنه يريد أن يخبر الجميع بمراحل حياته كلها.. كيف كان؟ وإلى أين وصل؟ وآلية هذا الوصول. هذا التساؤل ذاته الذى طرح على المؤلف حين نشر سيرته الذاتية، التى اعتبرها الكثيرون أنها جاءت فى وقت مبكر، فمن المعتاد أن السير الذاتية يكتبها من يبلغون من الكبر عتيًا، وهو ما رد عليه عمار وقتها بأن طه حسين كتب الأيام فى الثلاثينيات من عمره، وأن الدافع الذى جعله يعجل فى كتابة السيرة هو الهجوم الشديد الذى يتعرض له من قبل خصومه السياسيين، الذين يهدفون إلى تشويه صورته أمام الناس، فكانت سيرته رسالة للناس أنه واحد منهم وخرج من بينهم، عكس ما يدعى المدعون. ويمكن اعتبار أن الكتابين اللاحقين على السيرة وهما: عجائز البلدة، وألف نافذة، جاءا كتأكيد على هذا المعنى الذى طمحت له سيرته. بالإضافة إلى تعلق عمار على حسن الكبير بسيرة طه حسين، خاصة وأنهما نشآ فى المكان ذاته، محافظة المنيا، وأكملا تعليمها فى جامعة القاهرة، وعلى غراره كتب سيرته، فعندما فُصل طه حسين من الجامعة وهوجم هجومًا شديدًا، أخرج سيرته الأيام أيضًا؛ ليكشف للعامة والخاصة من يكون، وأنه ليس زرعًا شيطانيًا نشأ فى الفراغ.

تعلق بالعميد

أما عن النمط الذى اتبعه عمار على حسن فى التعبير عن ذاته، فى أكثر من جنس أدبي، فهو أيضًا ليس ببعيد عما فعله عميد الأدب العربي، فسيرته «الأيام» لا تحيط إلا بجانب ضئيل من حياته، يتعلق بالنشأة، وسنوات المثابرة والبناء فى طريق الصعود إلى ما يريد. بينما نعثر على بقية سيرته موزعة فى كثير من كتاباته الأخرى مثل: روايته «أديب» التى يستشهد بها عمار نفسه أثناء حديثه عن رحلته إلى باريس، كما أن طه حسين كتب عن الزيارات والرحلات التى قام بها إلى البلدان المختلفة فى الشرق والغرب، فى مقالات له، نشرت فى الصحف والمجلات المختلفة. وهو الأمر ذاته الذى يقوم به عمار فى كتابه "ألف نافذة" الذى يسرد فيه زياراته للبلدان المختلفة، حيث المنتديات، والملتقيات العلمية، والسياسية التى دعى إليها؛ لكى يدلى بدلوه فيها، والاستفادة من قراءته الاجتماعية، والسياسية للأحداث بوصفه متخصصًا فى علم الاجتماع السياسي، وكذلك أديب له العشرات من الأعمال الإبداعية المتنوعة بين الرواية، والقصة القصيرة، والمسرح، والشعر.

أدب الرحلات

والأمر الثانى الذى يجدر الحديث عنه هنا هو الجنس الأدبى الذى اختاره عمار على حسن، ليسرد فيه جانبًا من حياته المعاصرة، وطبيعة عمله، ورحلاته، ونظرته للناس، ألا وهو أدب الرحلات، الذى يعد من أقدم الأنواع الأدبية، وتتسع دائرته لتشمل فنونًا كثيرة. وقد اهتمت به حتى السير الشعبية، وهو جزء لا يتجزأ منها، فلا يمكن لبطل من أبطال السيرة أن يحصل على مكانته الكبرى بين قومه، دون أن تكون له رحلات مختلفة تكسبه الخبرة اللازمة لمعرفة طبائع البشر، وكيف يتعامل مع مواطن الخطر، ليكون صالحًا لقيادة قومه، وعبور الأزمات بهم. فعنترة بن شداد يرتحل من أجل النوق الحمر لابنة عمه، وحمزة البهلوان من أجل مهر مهردكار، وفيروز شاه من أجل عين الحياة، وسيف بن ذى يزن لحبيبته شامة، والسيرة الهلالية قائمة فى جلها على تغريبة بنى هلال ورحيلهم من نجد إلى المغرب العربي. وفى ألف ليلة وليلة هناك رحلات سندباد البحرى وأيضًا سندباد البري، كلها حكايات تكشف عن تطلع الإنسان القديم ما قبل انتشار التكنولوجيا الحديثة إلى معرفة العالم، وما فيه من غرائب. وإشباعًا لهذه الغريزة؛ بنيت الحكايات الشعبية، التى لم تهتم فقط بعالم البشر؛ بل ذهبت إلى بلاد الجن وعالم ما وراء الطبيعة.

عصر الرقمنة

هذا الولع بمعرفة الآخر، وجوانب الكرة الأرضية، وأحوال أناسها، غطته الحكايات الشعبية. وكذلك انتبه إليه الأدب الرسمى فى العصور المختلفة، فنرى الرحلات التى قام السيرافي، وسلام الترجمان، والإدريسي، وعبداللطيف البغدادي، وابن بطوطة، ورفاعة رافع الطهطاوى فى تلخيص الإبريز، وتوفيق الحكيم فى زهرة العمر، التى يتناول فيها جانبًا من حياته فى باريس فى صورة رسائل. إلا أن هذا الجنس الأدبى تأثر كثيرًا مع ظهور وسائل التواصل الحديثة، وسهولة التنقل بين القارات المختلفة. وهو ما يشير إليه عمار على حسن نفسه، منذ البداية، لأنها تحدٍ لا يمكن إغفاله، وتساؤل لا يمكن تجاهله حول أهمية هذا الجنس الأدبى فى عصر الرقمنة الحالي، الذى تشاهد فيه العالم بأسره دون أن تغادر مقعدك، فيقول بأنه «رغم تدفق الصور فى عالم يعيش فى ثورة اتصالات، حولته إلى غرفة صغيرة، فإن الجالس فى مكانه ومهما تسارعت الصور أمام عينه، وانهمرت فوق رأسه، لا يمكنه أن يصل إلى المعانى التى يتحصل عليها مسافر ذو بصيرة». ويشير إلى أن النهج الذى انتهجه فى الكتابة عن أسفاره لا يصف كل ما شاهده؛ لأنه مهما بلغ وصفه من الدقة والاقتدار، فلن يكون على قدر ما ماثل فى الطبيعة، لأن أى لفظ أو قول أو كلام مهما كانت بلاغته يقيد المعنى، وليس بوسعه أن يهزم الصور والأقلام المتاحة بلا انقطاع على المنصات الرقمية، بينما يظل الشيء الأهم بالنسبة له رصد كيف يتعايش الناس رغم اختلاف القيم، والأفهام، ودرجات الوعي، والمصالح، والغايات الفردية، وكيف يتجاور القديم مع الجديد فى المدن، ليثبتا أن الماضى لم يذهب، واندمج مع حياتنا المعاصرة. ويحاول عمار على حسن، من خلال هذه المنهجية فى الرصد، تجاوز ما يمكن أن يصل إليه الإنسان الآن، هو جالس فى بيته عبر الصور التى لم تكن متاحة من قبل بهذه الكثافة والغزارة، معتمدًا على رصد ما هو إنساني، وتجارب معاشة لا يمكن أن يمنحها إلا صاحب التجربة.

التداعي

وينطلق عمار فى سرده لرحلاته عما يعرفه عن هذه البلدان الذاهب إليها، وما ترسخ فى وعيه عنها من الكتب، أو ما شاهده فى الأفلام، فيقول عن رحلته إلى إنجلترا على سبيل المثال: « إنجلترا بالنسبة لى لم تكن فقط ما قرأته فى كتب التاريخ، لكنها أيضًا ما طالعته فى كتب الأدب، فمن بوسعه أن ينسى مسرحيات شكسبير وجورج برناردشو، وروايات سومرست موم، وأشعار جون كيتس وتوماس إليوت، وهى أيضًا فلسفة توماس هوبز والتصورات الاقتصادية العميقة لآدم سميث، وهى العبقرية السياسية لتشرشل...».

ويعتمد عمار فى سرده أيضًا على التداعي، فذكر دولة ما يحيله إلى كل ما يتبادر إلى ذهنه عن هذه الدولة، من حكايات، وشخصيات بارزة، ويربط بين الأحداث المتشابهة، فهو يعتمد على الذاكرة، وخبراته السابقة، وهو ما يوضحه قوله: «كل بلاد الناس سواء لمن يبحث عن الجمال فى النفوس والمناظر، لكنها لا تكون كذلك لمن ينبش فى ذاكرته، فبعضها راسخ كأنه جبل، وبعضها عابر كأنه سحاب». ويجسده أيضًا بداية حديثه عن باريس، بأن ينبش فى ذاكرته مستعيدًا كل ما يعرفه عن هذه المدينة «راحت باريس تعرض زينتها ووجعها فى نفسى أيام طفولتى كحال لوحة خالدة، رسمها فنان مقتدر على مهل؛ كى يجعلها فوق النسيان...». لتتوالى بعدها الحكايات التى عرفها عن باريس، من خلال ما كتبه طه حسين فى روايته "أديب" التى يتناول فيها حكاية إبراهيم عبدالله، ويطلق عليها الاسم الذى أطلقه عليها أحد أبطال الرواية بأنها «مدينة الجن والملائكة»، مشيرًا إلى أن هذا الوصف يليق بسحر باريس كما رآها. يحاول أن يستعيد ذكريات وأفعال المصريين الذين سبقوه إلى هناك. يحكى عن توفيق الحكيم ويسعى إلى زيارة الأماكن التى زارها. ويبدأ بعدها عمار بربط معارفه النظرية من خلال الكتب والأفلام، بمعرفته العملية على أرض الواقع من خلال زيارته الآنية لهذه الدول، ويحكى عن الوقائع والمشاهد التى عاصرها بنفسه فى تلك المدن، والنقاشات التى دارت، والرجال الذين قابلهم، ويكشف عن التشابهات بين البشر فى الغرب والشرق.

والأمر ذاته يكرره فى حديثه عن رحلته إلى تركيا، فيسترجع ما قرأه عنهم فى كتبه المدرسية، فى نهاية المرحلة الابتدائية، التى تتناول فتح العثمانيين لمصر عام ١٥١٧م بعد عام واحد من هزيمتهم السلطان الغورى فى موقعة مرج دابق وقتله تحت سنابك الخيل. ويستعيد من ذاكرته أن العثمانيين على مدار أربعة قرون فرغوا مصر من كل صناعها المهرة، وأرسلوهم إلى اسطنبول. ويذكر غناء خالته فى الحقل الذى يؤرخ لهذه الوقائع «متحسبنيش يا أمي.. حارسة الكمون.. حارسة كمون.. أنا فى عب الجندي.. رايحة إسطنبول.. رايحة إسطنبول». إرث قدم حفظه الأبناء من أجدادهم، وقد غاب عنهم معناه مع تطاول الزمن. عندما يزور مدينة الضباب يتذكر فيلم القلب الشجاع brave heart وكوبرى جسر لندن الذى علق عليه رأس البطل، يستعيد ما درسه فى المرحلة الابتدائية عن حملة فريزر وفشلها، وجلاء آخر جنودها عن مصر عام ١٩٥٤م، بعد احتلالها عام ١٨٨١م. وما صنعته خلال هذه المدة من جماعات دينية متطرفة، ما زالت علاقتها بهم وطيدة حتى الآن، ويعيشون فى كنفها. عن ألمانيا يبدأ حديثه عنها باستدعاء ما حكته له عمته، فى قريته فى وسط مصر، بأنهم انتظرو هتلر بالشوم (أى بالعصي) من أجل محاربته. فيما قالت عمة أخرى له: «كان الناس يقولون لو جه هرطل هنهرطله».

ويعد هذا التداعى للأفكار سمة أساسية، فى ثلاثية عمار على حسن المتمحورة حول الذات، وهى التقنية الأدبية التى اتكأ عليها فى السرد، راصدًا التشابه بين الإنسان، رغم اختلاف الأماكن، والشكل المعمارى للمدن، محاولًا سبر أغوار البشر على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، مركزًا على الجانب الاجتماعي، وعلاقات هذه الدول بمصر وأهلها، ومدى ارتباطها بهم. مؤكدًا على فكرة أننا لا نعرف تاريخ الأمم فقط بكبار الساسة من الملوك والرؤساء؛ بل البارزين من علمائها، وأدبائها، ومفكريها، وفنانيها، الذين أثروا الحياة والفكر العالمى بإبداعهم الإنساني، الذى هو إرث لكل البشر، وليس حكرًا على دولة بعينها.

وتتفاوت مساحة الحكى لكل دولة زارها، حيث يفرد مساحة كبيرة لباريس؛ لما لها من تأثير كبير على الثقافة المصرية، والتى ابتعثت إليها البعثات، وهناك الكثير من الروابط المصرية الفرنسية، بينما تقل مساحة الحكى للدول الأخرى، حسب حضورها فى ذاته، متجنبًا التكرار ووصف ما هو معلوم بالضرورة للناس حول هذه المدن التى زارها. وفى الفصل الأخير المعنون "إخوة اللسان والتراب" يجمع كل حكاياته عن الدول العربية التى ذهب إليها، فى فصل واحد متترابط، دون أن يجعل بينها فاصلًا كما فعل مع الدول الأخرى، فى إشارة إلى وحدة الدول العربية من المحيط إلى الخليج.

د. عبدالكريم الحجراوي

«زود حبة كمان».. عن العملات القديمة فى مصر

إذا فَسُدَ ملح النقد فَسُدَتِ الذّائقة العامّة واختلط الحابل بالنابل والغثّ بالسمين والإبداع بنقيضه

الريال بوطاقة والريال أبو مدفع أسماء مصرية لنقود أجنبية إسبانية وألمانية جرى تداولها فى مصر

ترتبط الكثير من الأمثال والألفاظ التى نتداولها، بحقب زمنية قديمة، وسياقات ثقافية متشعبة، وعلاقات اقتصادية واجتماعية اندثرت مع الأيام، مما يجعلها تشبه المتحجرات الجيولوجية، تحتفظ فى نواتها بماضٍ سحيق، يتكشف لنا مع الملاحظة والتدقيق.

ومن بين هذه المتحجرات اللغوية التى تكشف عن نمط اقتصادي، كان شائعًا لقرون فى مصر، وهو استخدام كلمة «حبة» فى صيغ، مثل: أن يقول المشترى للبائع «زود حبة كمان»، أو «نقص حبة»، أو المثل القائل «زود حبة تزيد محبة». مما يطرح التساؤل حول علاقة «الحبة» بالمكيال والميزان، وهل كانت الحبة معيارًا للوزن؟

هذا ما تكشفه كتب التراث، وربما كان أمرًا لا يسترعى الانتباه، منذ قرنين من الزمان، ولا يستدعى هذا التساؤل من الأساس، عندما كانت الحبوب بالفعل هى المعيار الذى توزن به الحبوب، إذ كان يقدر أهل الاختصاص وزن هذه العملات التى تختلف تسمياتها، عبر العصور، وكذلك أوزانها.

الحبة الخروب

يكشف المقريزى فى كتابه «الرسائل» عن هذه العلاقة بين النقود والحبوب، إذ أنها كانت وسيلة وزن كل عملة من العملات، فيجرى معايرة الوزن من خلال الحبة، فعلى سبيل المثال: كان وزن القيراط ٣ حبات من الشعير متوسطة الحجم، والمثقال ١٠٠ حبة من الخردل البرى متوسط الحجم، وكان يختلف وزن ونوع الحبوب التى يجرى المعايرة بها، فالدرهم كان يساوى ٥٠ حبة، والدينار ٧٢ حبة، وفى بعض الأوقات كانت تجرى المساواة بين الدرهم والدينار، فى عدد الحبوب، مع اختلاف مادة الصنع، الفضة للدراهم، والذهب للفضة، وفى مصر بعهد السيوطى كان وزن الدرهم ١٨ حبة خروب، وتزن حبة الخروب ٣ حبات من القمح، بينما كان وزن المثقال ٢٤ حبة من الخروب.

وعبر تاريخ مصر، تنوعت العملات التى استخدمها المصريون، التى تعرفنا دراستها بجزء من التاريخ، ووقائعه، وأحداثه المختلفة، وأسماء الحكام، وألقابهم، ومدى تقدم وتدهور الاقتصاد فى عهدهم. وقد عرف المصريون عملات عدة، عبر تاريخيهم، من الدينار الذى يرتبط بالعملات الذهبية، والدرهم المرتبط بالعملات المصنوعة من الفضة، والبرونز والنحاس فى عصر الكساد الاقتصادى المملوكي.

زر المحبوب والفندقلى أسماء للعملات الذهبية التى ميزت مصر العثمانية

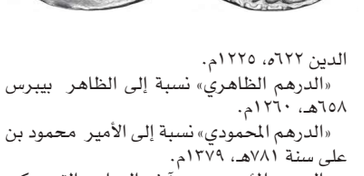

النقود الذهبية

لم تعرف مصر - طبقًا لما ينقله المقريزى - طوال تاريخيها حتى وصول صلاح الدين الأيوبى، عملة من العملات يجرى تداولها بشكل رسمي، سوى العملات الذهبية فقط. أول عملة ذهبية خاصة بمصر فى عهدها الإسلامى عرفت باسم: «الدينار الأحمدي»: نسبة إلى أحمد بن طولون، الذى سك عملة باسمه بعد أن استقل بحكم مصر عن الدولة العباسية عام ٢٥٤هـ، ٨٦٨م.

وهناك «الدينار المعزي» نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذى سك دنانير ذهبية باسمه عام ٣٨٥هـ، ٩٦٩م.

وفى عهد الناصر فرج خرج «الدينار الناصري» نسبة إلى الناصر فرج بن السلطان برقوق، أول مملوك شركسى يصعد إلى الحكم فى مصر، وسكت عام ٨٠٨هـ، ١٤٠٥م.

وفى العهد العثمانى ظهرت عملة ذهبية ظلت مستخدمة حتى وصول الحملة الفرنسية «الفندقلي/ الفندقي»، أو «السكين» نسبة إلى البندقية.

واستخدمت أيضًا محليًا فى هذا العصر، عملة تسمى «زر محبوب» وهى عملة ذهبية أيضًا، وكلمة «زر» فارسية تعنى الذهب أى ذهب المحبوب، وكانت متداولة إلى جانب الفندقلي، لكن يختلفان فى الوزن والقيمة، وكان يطلق على النصف منها اسم «نصفية»، والربع «ربعية»، أي: نصف زر محبوب، وربع زر محبوب.

النقود الفضية

وعرفت مصر أيضًا فى وقت متأخر نسبيًا، فى عهد صلاح الدين الأيوبي، الدراهم، أي: العملات المصنوعة من الفضة والبرونز؛ لأنه قبل قدوم صلاح الدين الأيوبى ٥٦٧هـ ١١٧١م - كما ذكرنا سابقًا - كانت العملات الذهبية وحدها، هى العملة القانونية والمشروعة فى مصر. وحملت هذه الدراهم أسماء الملوك والأمراء الذى حكموا مصر.

«الدرهم الناصري» وضُرب عام ٥٨٣هـ، ١١٨٧م نسبة إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي، كأول درهم عرفته مصر بشكل رسمي.

«الدرهم الكاملي» إلى نسبة إلى الكامل ناصر الدين ٦٢٢هـ، ١٢٢٥م.

«الدرهم الظاهري» نسبة إلى الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ، ١٢٦٠م.

«الدرهم المحمودي» نسبة إلى الأمير محمود بن على سنة ٧٨١هـ، ١٣٧٩م.

«الدرهم المؤيدي» وهو آخر الدراهم التى سكت فى مصر عام ٨١٨هـ، ١٤١٥م.

الفلوس عملة اعتبرها المقريزى عارًا على المصريين وتمنى زوال تداولها

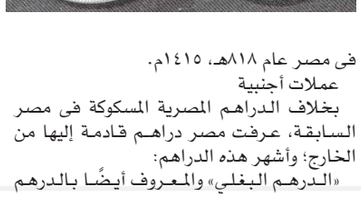

عملات أجنبية

بخلاف الدراهم المصرية المسكوكة فى مصر السابقة، عرفت مصر دراهم قادمة إليها من الخارج؛ وأشهر هذه الدراهم:

«الدرهم البغلي» والمعروف أيضًا بالدرهم الأسود، وهو عملة فارسية عرفت باسم البغلى - كما ينقل المقريزى - نسبة لشخص كان يسكها، يطلق عليه العامّة فى بلاد فارس اسم رأس البغل. أما اسم الأسود فبسبب الشكل الذى تكون عليه هذه العملة، مع تقادم العهد، فتتحول إلى اللون الأسود؛ بسبب التفاعلات الكيميائية مع الجو، وتمييزًا لها أيضًا عن الدرهم الطبرى الأبيض.

«الدرهم الطبري» الذى يستمد اسمه من طبرية.

«الدراهم اليمنية» القادمة من اليمن، والتى تستعمل فى التجارة معها.

«الدراهم المغربية» القادم من بلاد المغرب.

«القرش الإسباني» هو أحدث فى الاستخدام من العملات السابقة، وكثر استعماله فى مصر قبيل قدوم الحملة الفرنسية.

«التالر الألماني» وتعرف باسم الرسدال أو الريال، وكان شديد الانتشار فى مصر كذلك، إبان الحملة الفرنسية، وكان يساوى قيمة القرش الإسباني، ويجرى الاستبدال بينهما بسهولة، وإن كانت قيمة التالر الألمانى تكون عادة أعلى قليلًا؛ بسبب دقة صنعه، ووزنه الأكبر من القرش الإسباني.

ومن المهم هنا أن المصريين كان يطلقون على هاتين العملتين اسم «الريال» وهى تحريف لكملة الرسدال، ويطلقون على كل منهما اسمًا خاصًا يميزه عن الآخر.

«الريال أبو مدفع» وهو الاسم الذى أطلقه المصريون على القرش الإسباني؛ لأن على أحد وجهيه أعمد تشبه المدافع.

«الريال بوطاقة» ويطلق على التالر العملة الألمانية، ويعنى الريال المرسوم عليه طاقة (التى تعنى نافذة أو شباك)؛ لأن على أحد وجهى العملة عقاب مقسوم على أربعة أجزاء، تشبه المشربيات المصرية والطاقات.

«القروش» وهى عملة مصرية من الفضة، سكها على بك الكبير، لم يكتب لها الشيوع، وكانت لها فئات متعددة تساوى ٢٠ و ٤٠ و٨٠ و١٠٠ مديني، وألغيت وسحبت من الأسواق بعد هزيمة على بك الكبير، وأعادت الحملة الفرنسية سكها عام ١٧٩٨م، ١٢١٣هـ.

واختلف وزن كل نوع من هذه الدراهم التى جرى تداولها فى مصر، منذ الفتح الإسلامي، فعلى سبيل المثال: الدراهم السوداء التى ألغى صلاح الدين الأيوبى التعامل بها، كانت شديدة الثقل، وذات معيار عال، ثم سكّ الكاملى نوعًا من الدراهم تحت اسمٍ «أوراق» التى يُعتقد أن عملة «المديني» - التى ظلت تستخدم فى مصر حتى قدوم الحملة الفرنسية - قسم منها. وكانت هذه العملة (المديني) خفيفة جدًا، لدرجة أنه يمكن أن يجمع الألف منها فى قاع قرطاس، وأى نفخة هواء قادرة على أن تبعثرها. وينقل علماء الحملة الفرنسية فى كتاب وصف أن أصل تسمية مديني يرتبط بدراهم المؤيدي، التى حرفتها العامة تخفيفًا إلى الميدى أو المديني.

النقود النحاسية

لم تكن العملات المصنوعة من النحاس فى مصر، ذات قيمة عالية، ولم يكن المصريون يفضلونها، وقد عبّر المقريزى عن ضيقه الشديد من استخدام هذا المعدن كعملة فى مصر، وذكر فى رسالته شعوره بالعار لمجرد تدوين ذلك الأمر، فيقول فى رسالته عن النقود النحاسية وضيقه منها:

«وأما الفلوس، فإنه لم تزل سنة الله فى خلقه وعادته المستمرة، منذ كان الملك إلى أن حدثت الحوادث والمحن بمصر، منذ سنة ست وثمانمائة، فى جهات الأرض كلها، عند كل أمة من الأمم،... أن التى تكون إثمانا للمبيعات، وقيم الأعمال، إنما هى الذهب والفضة فقط. ولا يعلم فى خبر صحيح ولا سقيم عند أمة من الأمم، ولا طائفة من طوائف البشر، أنهم اتخذوا أبدًا فى قديم الزمان ولا حديثه، نقدًا غيرهما،... وتالله، إن هذا الشيء يستحيى من ذكره؛ لما فيه من عكس الحقائق، إلا أن الناس لطول تمرنهم عليه ألفوه، إذ هم أبناء العوائد، وإلا فهو فى غاية القبح، والمرجو أن يزيل الله عن بلاد مصر هذا العار، بحسن السفارة الكريمة».

وبدأ ظهور العملة المصنوعة من النحاس، إبان الظاهر برقوق المملوكى ٧٨١هـ ١٣٧٩م، وكانت تعرف العملة المصنوعة من النحاس باسم «الفلوس» تلك اللفظة التى ستصبح علمًا فيما بعد على أى نوع من أنواع النقود فى مصر حتى الآن، سواء التى كانت مصنوعة من الذهب، أو الفضة، أو من الورق فى أيامنا هذه.

د. عبدالكريم الحجراوي